ـ مالك بن نبي : فلسفة حضارة أم نظريَّة سُلطة ؟

د . معازيز بوبكر
(جامعة ابن خلدون ـ تيارت)

ملخص المقال:

عادة ما تصبح الكتابة وسيلة تهديد مضمرة،هذا أمر يلاحظه كل قارئ للمدونات الكبرى في الثقافات العالمية،حيثُ تبدو الصورة الفكرية مشوشة ومركبة بدرجة كبيرة من التشويش،وكأنّها تحاول أن تحتال على المتلقي ببسط وجهات نظر مغايرة للنتائج المثمرة التي توصّلت إليها في بلدانها... وتترتب على ذلك- على أي حال – إشكالات عديدة تختفي وتظهر لإثارة النّزاعات أو التبعية وتغذية تلك الصُّور الإكراهية التي ركبتها الأدبيات الجغرافية والتاريخية والأدبية القديمة، بينما المفكر مالك بن نبي رحمه الله لم يحمل هذا الفكر المزعج،وأكّد في نظريته الشّاملة والمستمدّة من الدّين الإسلامي أنّ حركة الحياة وتفوق الانسان فيها ينبغي فيه النّظر – وبجدية- إلى النفعية والجمالية والأخلاق..هذا بعض من الأنساق الفكرية لهذا الرّجل الهادئ المشاغب المتجدد دوما، و الذي نرى أنّه يحيا فينا بأطيافه وأشباحه بقصد التّخلص من الوحشية الاقتصادية والاجتماعية والدينية التي أفضت إلى انهيار كل المعاني الجميلة التي حري بها أن تدرجنا في عالم الحق.

الملخص باللغة الفرنسية:

Parfois l’écriture devient un moyen de menace implicite، cela est remarqué par pas mal de lecteurs et surtout dans les cultures mondiales، car l’image intellectuelle semble confuse et complexe comme si elle essayait de tromper le récepteur en étendant différents points de vue qui diffèrent des résultats fructueux obtenus….. Il en découle que de nombreuses problématiques disparaissent puis font surface afin de provoquer les conflits ou la dépendance et nourrir en même temps cette image coercitive adoptée par des visions géo-historiques et littéraires anciennes، tandis que le penseur Malek Benabi n’a jamais été pour une telle pensée inquiétante. Il a affirmé dans sa théorie globale qui dérive de la religion islamique que le mouvement de la vie humaine est à reconsidérée au sérieux

المقدمة:

الانسان الذي تيسر له أن يرتقي إلى الوُجود،أي أن ((ينعتق من وضعه الفيزيائي كجزء مندرج في العالم المادي وأن يبني له وضعاً جديداً يُؤمّن له الحد الأقصى من الاستقلالية عن العالم الذي يشكل أساساً جزءاً منه، بتعبير آخر أن يحقق المُفارقة التي لا نجد ما يفسرها سوى واقع الارتقاء إلى الوجود،هذا الانسان إذن، لابدّ له من أن ينزع عفوياً بفعل وضعه الجديد إلى الاستمرار في الوجود أثمن مكتسباته))[1]

ولذلك تنبثق جملة من الهواجس أمام هذا الانسان الذي يريد أن يتخلص من مركبات هيمنت على شعوره أو استقرت به،فهو يفسح المجال لمعايير جديدة بديلة يتعاطى معها لتحديد هويته الجديدة، وينبغي لهذا الكائن أن يكون مزوداً بالحس التّعاطفي ليتمكن من التّواصل مع ((أمثاله الذين يُمكنونه من الارتقاء فوق العالم الفيزيائي،ومن الانتماء إلى عالم،وإن كان وهمياً،لا يقلُّ واقعية عما يّمكن أن يُكونه الوجود الإنساني))[2]وإعمال العقل في الأشياء بغية الوصُول إلى معرفتها،وهنا يمكن تأكيد [الفكر] وإخراج الانفعالات،والعواطف،والغرائز من هذا الفعل لأنّها تقف حائلاً أمام تَجاوز هذه المركبات.

من هنا كان الفكر عملية عقلية تدور في المعلومات المحصل عليها سابقاً بعد أن واجهت عنصراً جديدا غامضاً.والمطلوب في هذه العملية الفكرية أن يتم تحديده وتعريفه ،أي أن يكون معلوماً بعد أن كان مجهولاً،وعلى الانسان في الوجود الجديد أن يتسلّح ب [الفكر] و[العقل] و[العلم]،وفي هذا يقول الرسول الكريم ((يا علي لا فقر أشدّ من الجهل،ولا عبادة مثل التفكر))[3]،الذي بواسطته يستطيع الانسان أن يتميّز وينتصر على المركبات الغامضة التي تواجه وجوده،ويحقق لنفسه السعادة والصلاح.

1- القلق الوجودي للإنسان العربي ما بعد الموحدين:

لا يُمكن التقليل من هذا الأمر،إذ أنّ لهذا القلق أسبابه،والتي سنفصّل فيها لاحقاً متجاهلين [الزمان] و[المكان] وأحياناً الظروف المحيطة التي قادت إلى هذا القلق،والتي تركت جروحاً دامية في حياة الناس :الاجتماعية ،والسياسية وحتى الدينية التي لم تسلم من الاختراق والتّهميش والازدراء،والقارئ للحضارة العربية الإسلامية من الدّاخل يستطيع أن يتبيّن التّبدلات الحاصلة في منطقها الديني والاجتماعي والسياسي.إنّ نظرة إلى الوراء من المنطلق التاريخي الذي نقف عنده في الوقت الحاضر،توضح لنا أنّ مفهوم الحرية كان أهم محرك تاريخي عرفه العالم،وفي كل الأوقات...إلا أنّه ليس من المُدهش ألاّ تكون تلك الاحتكاكات مع الغرب حال سقوط الأندلس ،وفي الحماية أو الاستعمار العثماني وبعد ذلك الاستعمار الحديث الذي لازال العالم العربي يجني ثمار مقولاته هي المسببات الرئيسة للقلق الوجودي الذي يعرفه العالم العربي .فهل من خَلاص من هذا القلق..؟،وهل تتمكن الجهود الفكرية تلافي إنتاج مثل هذه النماذج في ضوء اكتساح العولمة المتوحشة؟.

---

[1]- جوزف أبو رزق: بحثا عن قيم جديدة تر جان بيار نخلة،دار الفارابي،بيروت –لبنان،ط2007،1،ص23

[2]- المرجع نفسه ،ص:25

[3]- البحراني،عوالم العلوم،مؤسسة الإمام المهدي،قم،ص:10 من خلال محسن بن زاكور:مقاربة منهجية لبعض القضايا الآنية للفكر الإسلامي المعاصر،ص:16

إنّ اغتيال [العقل والحرية] ،واستبدالها بمرجعيات أخرى منذ الطفولة أولاً، ومن ثم تستكمل تتبعاً في جميع المَراحل العُمرية والتّعليمية ، ويُولد مفهوم آخر[للحرية]،وتتخلق إشكالية،وتوضع البدائل عنه،في ثقافتنا وتربيتنا ومنه يتوّضح لنا من أين ومتى تبدأ أمراضنا،ويعرفنا إلى سبب افتقادنا العقل الحر،والحرية،التفكير في المسبب الرئيس،وفي الأوضاع الرّاهنة ،وفي المُرتكزات الفكرية التي سببت أزمة العقل والحرية ، وفي مشكلاتنا الرّاهنة في مُجمل فكر الثقافة السائدة والمهيمنة ونواحيها وفي منظوماتها الفكرية ومفاهيمها ومعاييرها وتصوراتها،عن الكون ، وعن الإنسان ومكانته،وعن العقل ودوره وحريته،وعن الطبيعة وعن الزّمن،وعن المرأة ،وعن الحياة،وعن الماضي والحاضر والمستقبل[4]،يحالفنا الفشل لأننا [خارج التاريخ]

2-**خفوت الشّعور الديني ونتائجه**:

لما كانت الحرية صُورة الله التي بدونها ينهار العالم،ويُعبر بها الإنسان على((أنّها [عادة] وعبثاً يحاول الشيطان احتواءَها،إنّ اسمها مجردا يشي بوجود الانسان الحر غير الرقيق))[5]،،ولذلك نجد كثير من الفقهاء والمهتمين ينطلقون من البعد الديني لإشعال جذوة الوجود،وتبدأ المحاولات بوضع مبدأ عام يشرح كل المركبات التي تحقق الفكر الديني،ولئن قرأنا الفكر الديني عبر حياة الناس فإنّ من الممكن أن نجد اشمئزاز الناس من المشاعر الإنسانية، ومن القيم الجميلة التي لم يستطع الدين الارتفاع بها، ومع ذلك هل يستطيع الانسان أن يحقق مصيره دون اللجوء إلى الدين؟ وهل الدين يكبح الطاقات الحيوية لهذا الإنسان؟

يؤسفنا أنّ هناك تيارات لم تحسن فهم الإسلام،يقول أصحابها أنّ الديمقراطية كفر،وهؤلاء فهمهم ناتج عن سوء فهم للإسلام وأصوله وقيمه،وترى البعض يعترض على استخدام أي لفظة مستوردة من الغرب، وفي الحق نحن لسنا هواة استيراد المصطلحات الأجنبية،وفي الدين الإسلامي ما يُغني عن ذلك ،ولكنا أيضاً تعلمنا من ديننا أنّ الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها،وقد استفاد النبي الكريم من تجارب الأمم المختلفة في الحرب والسلم والقيم الجمالية المغايرة والمختلفة.

وهذه الحواجز والحدود التي يختبرها بعض المتشدقين بالإسلام هي التي تبدو عازلة ولم تخول لنا إيجاد الأجوبة على أسئلتنا بخصوص العقل العربي الإسلامي كما هو حاضر،وبتنا في المقابل لا نستطيع مقاربة الوعي الإسلامي المعاصر مقاربة تُمكن له ولمقولاته الكبرى في الحياة ،وتحقق له بعدئذ استقرار وانتشار يتم بواسطته تعميم مقولاته وفرضها باعتبارها امتياز لتحقيق الوجود البشري ،وتعترضنا كذلك أسئلة من نوع أين يمكن لنا استكشاف الأمثلة الحقيقية ذات الأهمية لهذا الوعي، هل نعطي امتياز خاص للتاريخ أم للحركات الحديثة التي تضع نفسها في حراسة الإسلام؟ ،ولكي نفعل هذه المقولات ينبغي الانطلاق مما ذكره محمد أركون في كتابه "تاريخية الفكر العربي الإسلامي"، وإلاّ تبقى كل الاجتهادات عاجزة عن فهم الإسلام ،ومؤدية إلى خفوت الشعور الديني ،وتدهور الأوضاع الحياتية للناس حيث يقر بأنّ الإسلام :

---

[4]- مفيد أحمد ديوب:مفهوم الحرية ومنهج الثقافة السائدة،دبي الثقافية،العدد80 مارس،2011،ص:76

[5]- فرانز روزنتال:مفهوم الحرية في الإسلام دراسات في مشكلات المصطلح وأبعاده في التراث العربي الإسلامي، تر رضوان السيد ون زياد،المدار الإسلامي،2007،ص:40

1- الإسلام هو الذي حرر العقل والنفس الإنسانية من الوثنيات ،وحرر الفكر والإرادة والعمل ،ورفض الاستعلاء،وقرر أن أبرز مفاهيمه هي المطابقة بين العقيدة والعمل والكلمة والسلوك.
2- اعتراف الإسلام بميول وعواطف الانسان،ودعا إلى التطهير بالعبادات،وهو وضع كانت قد نادت به فلسفات وشرائع سابقة للإسلام،ولكنّه فهم التطهير على أنّه تعظيم الشعائر والحدود،في حين قدمته الفلسفة اليونانية على أنه نوع من الإكراه والتعذيب والرفض والتأنيب..
3-الإسلام لم يعرف روح النسك التي عرفتها بيئات الأديرة والصّوامع،ولم يكن في الإسلام دعوة إلى الرّهبانية.
4- الإسلام لا يقرّ نظرية تغير الأخلاق باختلاف البيئات والعصور،كما لا يقرّ نظرية التّطور المطلق الذي يتحرك في الفراغ،ولا يقر تقديس العقل ولا عبادة الباطل.إنّ مفهوم الأخلاق هو خلافنا الأساسي مع الفلسفات المادية،ومفهوم التوحيد هو تميزنا الأصيل عن الفلسفات الوثنية.
5- في الإسلام ليس الانسان شريراً على وجه الإطلاق،وليست عليه مسؤولية خطيئة سابقة،وليست الخطيئة متأصلة في كيانه،والإسلام يرى أنّ في الانسان طبيعة الخير والشر، وأنّ الإيمان بالله هو الذي يرده عن الشر.
6- ليس هناك تناقض بين العلم والإيمان،والمسلم لا يجد في منجزات العلم ما يتعارض مع الإيمان،والفكر الغربي هو الذي فرّق بين النظرة الدينية،والنظرة العقلية والعلمية.
7- إنّ الفصل بين الدين والدولة هو نتاج وافد غريب،وهو من معطيات العقائد الأوروبية في تشكلها وصراعها خلال تاريخ طويل.ولكنّه ليس من معطيات الإسلام،بل إنّ الإسلام في تكامله وترابط القيم فيه يقيم من الدين والدولة كلاّ متكاملاً. فالإسلام دين ومنهج حياة وشريعة وخلق.
8- وإنّ من أبرز مفاهيم الإسلام أنّه لا انفصال بين الدّين والحياة،وبين الدُّنيا والآخرة،وبين الرّوح والجسم،وبين الواقع والمثال،فالإسلام يرفض تمزيق الجبهة الفكرية بين الاقتصاد والسياسة والاجتماع والدين، ويؤكد بقاء كل العناصر في اتجاه واحد قوامه وحدة النفس الإنسانية.
9-إنّ روح الإسلام ومنهجه الجامع بين الأخلاق والشريعة في ظل عقيدة التوحيد لا يعارض سير الحضارة.بل هو يدفعها دفعاً إلى الغايات العليا،ولكنه يتعارض مع التّجاوزات الإباحية التي فرضها الإلحاد والتي ليست من مفهوم الحضارة بمعنى أنها دعوة إلى التقدم المروق عن الحدود التي فرضها الإسلام.
10- لا يقرّ الإسلام إقصاء الدين عن منطقة الحياة الاجتماعية،لذلك قد أقام منهجاً متكاملاً يقوم عليه سلوك الانسان في الحياة إزاء نفسه وإزاء باقي الجماعة.
11- التوفيق بين المتناقضات ببراعة دون أن يميل إلى جانب، فهو يدعم الجَماعية والفردية،ويربط الرّوحية بالمادية، ويستوعب النفس والعقل الإنساني،ومن طبيعة الإسلام كذلك الجمع بين الثبات والحركة

12- إنّ أثر الإسلام واضح في كل الثورات التي قامت على القيود التي تمنع العقل من التفكير، أو تفرض جماعة خاصة تحتفظ بالأسرار وإليها ترد الأمور ومن الإسلام انطلقت الدعوة إلى تحرير الفكر البشري من الوثنية..

13- إنّ أبرز معطيات الإسلام هي قدرته على معايشة الحضارات والثقافات المختلفة والمغايرة واستمراره في مختلف الأزمنة والبيئات فهو قادر على إجراء حركة التصحيح من داخله،ورد الشّبُهات ومقاومتها،والمحافظة الدائمة على طابعه الإنساني وأصله الرباني.إنّ ميزة الإسلام في شموله وتكامله أنه جمع بين الحريات والضوابط،وبين الفردية والجماعية وبين العلم والدين،وبين العقلانية والوجدان،وبين الروح والمادة،وبين الوحي والعقل،وبين الدنيا والآخرة وبين الغيب والشهادة وبين الثبات والتطور،وبين الماضي والحاضر،وبين المحافظة والتجدد،وبين الإسلام والإنسانية[6]

من هنا يظل النّص الديني باهر الحضور،كلما برع الواقع في قراءته،وهو ليس قراءة للواقع،أو فضح له،ولكنه توجيه لمعطياته والتذكير –برغم تفاوت النظر بين القراءات والمذاهب- بسلطته و والقطع بأنّ كل الطرق والأنظمة المبتكرة هرمة وعاجزة عن مواكبة حياة الناس وإفساد ما لديهم من فطرة وإنسانية وعقل..وهذا الواقع قد تنبه إليه كثير من الفقهاء والمهتمين بالنّص الديني وخاصة النّص القرآني،سواء كان هؤلاء من العرب المسلمين أو من غير العرب.وكذلك فعل محمد أركون والجابري وحسن حنفي ونصر حامد وهشام شرابي وطه عبد الرحمن....وقد أجمع هؤلاء أو كادوا على أن لهذه الثقافة [الثقافة الإسلامية] مؤهلات منها :

- أولاً تمتاز هذه الثقافة بخاصية عدم ((الانتماء إلى قوم،لأنها لا تنتسب إلى أحد أو إلى جماعة من كبار المفكرين أو صغارهم انتساب اللبيراليات الغربية والاقتصاديات الاشتراكية مثلاً إلى أصحابها المعينين.ولا تخلو ثقافة نسبيَّة من عصبية قومية،وكلّ ثقافة كونية تحفظ بطابعها الشُّمولي مصالح استغراقية تعمُّ كل الأقوام))[7].

- ثانياً أنّ هذه العقيدة تمتاز بالثبات والخلو من التّحريف،وقد امتازت بسريان جميع تعاليمها في الأديان السماوية السابقة قال تعالى :((قولوا آمنّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النّبيُّون من ربّهم لا نفرقُ بين أحد منهم ونحن له مسلمون))[8]، وهنا لا تعارض بين هذه الرسالة والرسائل السابقة ولكن التّعارض الممكن كما يقال بين الثقافة الإسلامية وما استحدثه أهل هذه الملل والنحل من تحريفات لا تتوافق مع طبيعة هذه الكتب المقدسة.

- ثالثاً أيضاً تُشكّل الثقافة الإسلامية تياراً فكرياً مستوفياً لجميع خصائص النظرية القابلة للتّجدد وتجاوز الهوية الممزقة للتيارات الوضعية الحالية. هي نظرية تفكك المُزيف من المَواقف وتكشف عن كل وجوه الحقيقة،هذه المُؤهلات الثلاثة التي تتصف بها هذه الثقافة هي التي ستؤهلها لقيادة الأمم والشعوب،وتولّد حضارة مستقبلية توافق الطبيعة الإنسانية.

---

[6]- محمد أركون تاريخية الفكر العربي الإسلامي تر هاشم صالح ،مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي، بيروت ،الدار البيضاء،ط1998،3،ص118 وما بعدها

[7]- محمد الأوراغي:لسان حضارة القرآن،منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم،ط2010،1،ص:18

[8]- سورة البقرة ،الآية :163

3- فوضى الأنساق وتداخلها في زمن الموحدين وإلى اليوم :

لقد تعمدنا استعمال كلمة فوضى لسبب منهجي ومعرفي وجيه تجلت به العقلية العربية والإسلامية في القرن العشرين،ففي ذلك بدت الفوضى كامنة في التعامل مع أصول المعرفة ومسوغاتها وفي مناهج متعددة هيمنت عليها البضاعة المأخوذة من الغرب من دون مناقشة وتحليل ونقد،كما نقلت عن الشرق أو الموروث العربي الإسلامي،وقليل من((العلماء والباحثين والمفكرين من تفطن إلى خصوصيات منهجية ومعرفية يجب أن تكون حاضرة حين التعامل مع الشرق والغرب،فبهذا المنهج الخاطئ كانت الأنساق التي حضرت بكم مختلف آل إلى التضارب والتصادم والتناقض الذي صار سمة للمعرفي عندنا في بدايات القرن العشرين تأسيساً وفي نهاياته تأصيلاً حيث لم تجن إلاّ الفكر التصادمي الذي لم يثمر إلاّ المحاكمات المذهبية والفقهية والفكرية))[9]

وفي هذا بدا لمالك بن نبي أنّ الإنسان لا يمكن أن يقف من الأشياء موقف "المرآة" التي تعكس صور الأشياء،بل هو لابد من أن يشارك في مجرى الأحداث بكل ما لديه من اهتمامات،وانفعالات،وقدرة على التقييم.ومن هنا فإنّ [الموجود الأخلاقي] ليس مجرد إنسان [عارف] يملك علماً مجردا بماهية الخير والشر، بل هو إنسان [عامل] يملك إحساساً مرهفاً بالقيم،ويسعى جاهداً في سبيل المشاركة في تحقيقها[10]

ولكن الانسان تحول في ظل((نظام التأويل الوحدانيّ وسياسته إلى مجرد آلة،تنقل الكلامَ الذي يوصف بأنَّه دينيٌّ،دون نظر،أو تساؤل،أو بحث،وبدا هذا الكلام في الممارسة كأنه لا يُعنى بتحرير الانسان بقدر ما يُعنى بتقييده.وكأنّه لا يعلم الإخاء والسلام،بقدر ما يُعلم العنف والحرب))[11].ولم يغب هذا من قبل على مالك بن نبي الذي كان لسان حاله يردد لم يتسع وقته للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار ،ولكنه حاول أن يتسلى بأن يشد الاهتمام لعبقرية القرآن الكريم وتعليم الإسلام ، فكتب [تأملات] و[الظاهرة القرآنية] و[القضايا الكبرى] و[المسلم في عالم الاقتصاد] و[بين الرشاد والتيه] و[شروط النهضة] و[مشكلة الثقافة] ،و[وجهة العالم الإسلامي]،و[مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي]، و[مذكرات شاهد على القرن] و[فكرة كمونويلث إسلامي] و[الفكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ] غيرها من البحوث التي لازالت في حاجة لمن ينظر إليها بالنظر المشروع. ومالك بن نبي كتب عن القضايا الكبرى في الإسلام بأسلوب بسيط وعملي،إذ ينطبق عليه قول الناقد الفرنسي "جون كمكتو" الذي قال ماهو الأسلوب؟ إنّه لكثير من النّاس طريقة معقدة جداً لقول أشياء بسيطة جداً،أما لنا نحن فإنّه طريقة بسيطة جداً لقول أشياء

---

[9]- عمر أحمد بوقرورة:بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي قراءة في ظل البنية والمتغير،دار الهدى،الجزائر،ط2004،1،ص:30

[10]- زكريا إبراهيم،المشكلة الخلقية،مكتبة مصر ودار مصر للطباعة،ط1،دت،ص:56

[11]- أدونيس الكتاب الخطاب الحجاب،دار الآداب-بيروت،ط2009،1،ص:12

معقدة جداً . لهذه الأسباب ظلت مؤلفاته متمنعة لا يقوى المتلقي العربي بالخصوص على اقتحامها في حين أصبحت طيعة على المتلقي المسلم والأجنبي في آسيا والعالم .

ومما ذكره في كتابه مشكلة الحضارة [مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي] ،وهو هنا يقارن بين الفكر الغربي والعربي ،وهما في نظره في حاجة إلى إعادة النظر وتوجيه ((فالفكر الغربي يجنح على ما يبدو أساساً إلى الدوران حول مفهوم الوزن والكم،وهو عند ما ينحرف نحو المغالاة يصل حتماً إلى المادية في شكليها:الشكل البرجوازي للمجتمع الاستهلاكي،والشّكل الجدلي للمجتمع السوفيتي..وحينما يكون الفكر الإسلامي في أفوله كما هو شأنه اليوم،فإنّ المغالاة تدفعه إلى التصوف والمبهم والغامض وعدم الدقة والتقليد الأعمى والافتنان بأشياء الغرب))[12] وهي حقيقة نكاد لا نترفع عنها في كل ما يحيط بنا من أشياء، بل نسعى في استقدام مقولات الغرب واستنطاقها وكأنّها هي الخَلاص من الأزمات التي نعانيها حتى وإن كانت أخلاقية. وبهذه الأفكار يرى بأنّ العالم في اضطراب لأنّ أهله في احتراب،ولذلك ينبغي أن يسود نوع من السلم ونوع من الوفاق بين الناس ليتم التفاهم على طريقة للعيش .

4- الموجّهات العامة في نظرية مالك بن نبي:

أولا: القابلية للاستعمار la colonisabilté

- مجموعة العوامل والشروط الظروف ت تجعل الملم في حالة ضعف مزمن[faiblesse cronique]

- انهيار في مرحلة ما بعد الموحدين على جميع المستويات والأحوال وللخروج من هذه الوضعية يقترح:

1- التشخيص بدون مجاملة (...)

2- الموضوعية (...)

3- المأساة الإنسانية هذه كما يرى مالك بن نبي،ينبغي فيها تضافر الجهود في حقول الحياة المختلفة لوضع الأسس التي من شأنها القضاء على العوامل الدّاخلة والخارجة،التي تجعل مسلمين يعيشون خارج التاريخ [hors de lhistoire] بمعنى أن الأنشطة عقيمة.

إنّ [القابلية للاستعمار] يدرسها من ناحيتين [أسباب القابلية كتعبير عن التّخلف] و[كشف جوهر الاستعمار كشكل من أشكال العنصرية فشل في إعطاء بعد إنساني للتّطور الحضاري]

*إنسان قبل الحضارة [الشعوب البدائية].

*إنسان داخل الحضارة [الشعوب الأوروبية والولايات الأمريكية،واليابان].

*إنسان خارج من الحضارة [العرب والمسلمون] ومن حذا حذوهم.

ثانياً العالمية: mondialisme

في جميع أبحاثة ومداخلاته كان ينادي بالعالمية هدفه :

1- امتلاك المسلم الرسالة التي تجعله مشارك في العالمية

2- يجب الاعتماد على الشروط القرآنية التي تهدف إلى خدمة الإنسانية

---

[12]- ملك بن نبي :مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،تر بسام بركة وأحمد شعبو،أشراف عمر مسقاي ،دار الفكر المعاصر – لبنان –بيروت ودار الفكر دمشق-سوريا،ط1988،1،أعادة 2002 ،ص:8

3- يجب أن يرتقي الانسان إلى درجة تحرير الطاقات الفردية التي تتماشى مع حركة المجتمع ليصل إلى الفاعلية ، ومن ثم خلق حركية في هذا المجتمع
4- محلة ما بعد الموحدين أدت إلى تفكيك الحضارة الإسلامية انكماش دورها في وقت تمددت الحضارة الغربية عبر العالم.
5-تأخر المسلمين يرجع إلى عامل [نفسي] وعامل[تاريخي] أثرا على فقدان الفاعلية [effécacité]
* الجانب التاريخي معناه أنّ الحضارة الغربية هي التي قامت ب[تكسّير أو تهميش أو تحييد] هذه القيم الأخلاقية والإنسانية من خلال الاستعمار في استغلال كامل لضّعف وتأخر العالم الإسلامي ومنعهم من الاندماج في [حركة التاريخ].

ملحوظة:

لتجاوز هذه المأساة والخروج من [القابلية لاستعمار] ومن الانغلاق والوهم والغموض والتّصوف ينبغي شرح العناصر الأساسية للحضارة وهي [الانسان]،و[التراب]، و[لزمن]،و[الثقافة]،وهذه المهمة قد تكفل بها منذ ثمانينيات القرن المضي تلاميذ مالك بن نبي [رشيد بن عيسى] ،و[عمر بن عيسى]، و[عبد الرحمن بن عمارة]،و[نور الدين بوكروح]،،وبعض المهتمين بفكر مالك بن نبي ومن المفكرين العرب وغير العرب...كما أنّ بعض التيارات السّياسة في تونس[حركة النّهضة]، وفي شرق وجنوب أسيا ضرورة الاعتماد على فكر مالك بن نبي للخروج من الأزمات الرّاهنة التي تعانيها هذه البلدان.
*الثقافة تظهر من خلال تركيب ومزج العناصر الثلاثة السابقة [الإنسان والتراب والزمن] مزجاً واعياً..والثقافة كمكسب اجتماعي تعتمد:
أولا: على [التوتر] – ثانياً: على [المعنى الأخلاقي والجمالي] – ثالثاً :على [مستوى التنظيم الاجتماعي] – رابعاً : على [لبراغماتية أو النفعية في التفكير] – خامساً :[العنصر التقني].

نتيجة:

*الدراسة التي قام بها مالك بن نبي تبتعد عن كل تأثير استشراقي معتمداً على انسجام في طريقة التفكير،ومتوخيًا [العقلانية والاستقلالية] الأمر الذي جعله يتوجه نحو ترجمة حركة الانسان من بعد الموحدين،ويحدد مواطن الفشل والوهم الذي يعيشه...
* و[النشاط الفكري activité intellectuelle] ليس هو المحرك للمجتمع بل هو [نتاج] من المجتمع يُعّبر عن الاتجاه الصّحيح للمجتمع..المجتمع ينتج الأفكار التطبيقية مثل ما يُنتج الأشياء والوسائل الضرورية .إذن النشاط الفكري لا يخلق المجتمع بقدر ما أنّ المجتمع المتحضر هو الذي يخلق أو ينمي النشاط الفكري في كل أشكاله...وهذا النشاط الفكري كان بسبب التغيير الجذريchangement radicale الذي جاء عن طريق [الوحي] وعن طريق [الرسالة النبوية]،حيث تمّ التأثير على نفسي العرب وكل من دخل في الإسلام.
* إنّ العمل الفكري الذي قام به المتكلمون والفلاسفة كان ضرورياً لأنهم كانوا يريدون معرفة [الميراث الفكري] لزمانهم ،فلا يحق لنا التشكيك في إيمانهم كما يفعل كثير من الناس.ولا يهم إذا نجحوا في ذلك أم حالفهم الفشل، فهؤلاء مُجتهدون،والمجتهد غير مطالب بأن يجيب عن كل الأسئلة أو مطالب بالإجابات النهائية،وينبغي تثمين المجهود لأنّه كان من

أجل الفهم،وهذا الأمر يفتقده الانسان ما بعد الموحدين والإنسان الحاضر،الذي يتوهم الدُّخول في [ما بعد الحداثة] بطرق آمنة.

* من هنا طالب مالك بن نبي نقل [التفكير الإسلامي] إلى العالمية من أجل إنقاذ الغرب من أفكاره الشّرسة والمتوحشة أو الأمم الاستعمارية التي تتعامل مع الآخر كفريسة [proie].ولكن المسلم حالياً أو بعد الموحدين Lhomme post- almohédien هو إنسان استقال من التاريخ وبدون فاعلية اجتماعية، وغير قادر على الإبداع الذي قام به أجداده في العصر الذهبي،بل هو قادر على الابتداع .

من هنا يمكن الحديث عن [القطيعة] حيث دخل في اللا حضارة إنّه لايستطيع إعادة تركيب عناصر [الانسان والتراب والزمن]. وهذا الانسان ساذج يتّهم الآخرين وضَعفه أدى به للقابلية للاستعمار، يرى أنّ الاستعمار هو السبب،وليس نتيجة لوضعيته المأسوية.هو إنسان راض عن نفسه ولا يتهمها بالقصور. [وبعد الاستقلال ازداد تدهوراً غرق في أوحاله بسبب نفسه لأنّه يستعمل الحيلة ضد نفسه]،ونظر لهذا الوهم قد [يصبح إسلاميا]ن ويمثل الإسلام ،ويسمو بتاريخه وقيمه وفي هذا يحاول تشريف نفسه [متدين جداً وفاسد جداً]،ويصبح [بعثياً أو بربرياً متوحشاً] عندما يختلف عن الآخرين.وهو مستعد للعب جميع الأدوار إلاّ أن يكون نزيهاً مع نفسه،ونظراً لوقاحته أوهم نفسه ببلوغ درجة [ما بعد الحداثة].

*مالك بن نبي في هذه التخريجات أو في علمه يريد أن يجمع بين الفلسفة وعلم الاجتماع [فلسفة + علم اجتماع] une sociosophie لأنّ الحضارات عندها جانب [ميتافيزيقي] جانب[الحكمة]،هذا الذي يريد تجسيده في تنظيرا ته للإنسان وأزماته المختلفة. وهو يختلف عن علم الاجتماع الحالي الوصفي (وصف الظواهر) الذي لا يقدم تفسيراً من الناحية الاجتماعية،فهو يجتهد في تفسير وتأويل هذه الظواهر مثلاً حينما يحلل ويفرق بين القدرة الاجتماعية والقدرة المالية يرى بأنّ [إنسان ما بعد الحداثة] ، يتوهم شراء الحضارة فالمسلمون في قدرتهم شراء بناء نيويورك لكنّهم لا يمتلكونها لأنّ [الحضارة ليست تراكم أشياء].

* الفرق والمذاهب (السنة)،(الشيعة)،(الوهابية).. أشكال تجاوزها الزمن لأننا ورثناها عن الماضي ، وأدّت إلى تحجر العالم الإسلامي،غذّاها الاستعمار،وقدّمها على أنّها عصبية تحد من انطلاق هذه المجتمعات .

من كل ما سبق يقدم مالك بن نبي شروطًا أساسية للعودة للتّاريخ أو للدخول في الحضارة،وهي أن يلزم المسلم نفسه بـ:

أولاً الأخلاقlithique- ثانياً الجمالية l'esthétique والتطلع إلى الأحسن- ثالثاً البراغماتية أو النفعية la pragmatique في التفكير- رابعاً التقنية la technique[13] هذه الطريقة في رسم المسار الحضاري الناجح للمسلم المعاصر تدلّ على عظيمة في هذا الرجل

---

[13]- للاستزادة ينظر، عمر بن عيسى مالك بن نبي ومستقبل المجتمع الإسلامي،الناشر دار العثمانية الجزائر 2010، من ص4إلى ص60،ونظر كذلك مؤلفات مالك بن نبي : [تأملات] و[الظاهرة القرآنية] و[القضايا الكبرى] و[المسلم في عالم الاقتصاد] و[بين الرشاد والتيه] و[شروط النهضة] و[مشكلة الثقافة] ،و[وجهة العالم الإسلامي]،و[مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي] ،و[مذكرات شاهد على القرن] و[فكرة كمنويلث إسلامي] و[الفكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ]

تسللت إلى البعض فأدركوا قيمته الفكرية والشخصية.والحال أنّ المجتمعات العربية الإسلامية تتمزق بعنف وتدلهمّ،تتفّسخ الوحدة الأولى،تُرسم الحدود المزعومة،لابدّ من وقفة وسط تلك الصيرورة العاصفة التي ورثناها من كفّ أمسنا ينبغي العودة إلى تفعيل فكر مالك بن نبي لأنّه يكتب فلسفة الحضارة والتاريخ والدين بالصُّورة واللّون والموسيقى التي تكشف حقيقة الآخر وحقيقة المسلم المتسلّق دروب العولمة ومتاهات ما بعد الحداثة.